الفصل التاسع عشر بعد المئة

الفنون الجميلة

وبين الآثار التي عثر عليها الرحالون ، أو نقلت إلى بعض متاحف الغرب ، عدد من التماثيل والصور المنحوتة على الحجارة ، وهي قليلـــة في الوقت الحاضر لا تعطينا فكرة واضحة عن الفن العربي الجنوبـي ، وبعضها يمثل فناً عربياً جنوبياً أصيلاً ، فلا يشبه المنحوتات اليونانية أو الرومانية ، أو المصرية ، أو الايرانية ، أو غيرها، وبعض آخر له شبه بفن بعض هذه الشعوب، مما حمل المستشرقين على أن يذهبوا إلى أن هذا التشابه هو نتيجة تقليد ومحاكاة لذلك الفن[1] .

ونلاحظ على هذا التمثال الذي عثر عليه في مقبرة قديمة عند (تمنع) عاصمة (قتبان) ، ويعود عهده إلى القرن الأول أو الثاني قبل الميلاد ، ان المثّال حاول جهد إمكانه اعطاء تمثاله الذي صنعه طابعاً عربياً جنوبياً ، لكنـــه لم يتمكن من ذلك ، وقد دوّن في أسفله اسم صاحبه ، وهو (جبـا ام هنعمت) ، (جبأ أوام هنعمت) .

ومن الصعب إصدار حكم عام على الفن العربي الجنوبي استنـــاداً الى هذه التماثيل والصور المنحوتة أو البارزة ، لأنها قليلة غير مغنية وغير كافية لإصدار حكم

---

١ Handbuch, I, S. 165.

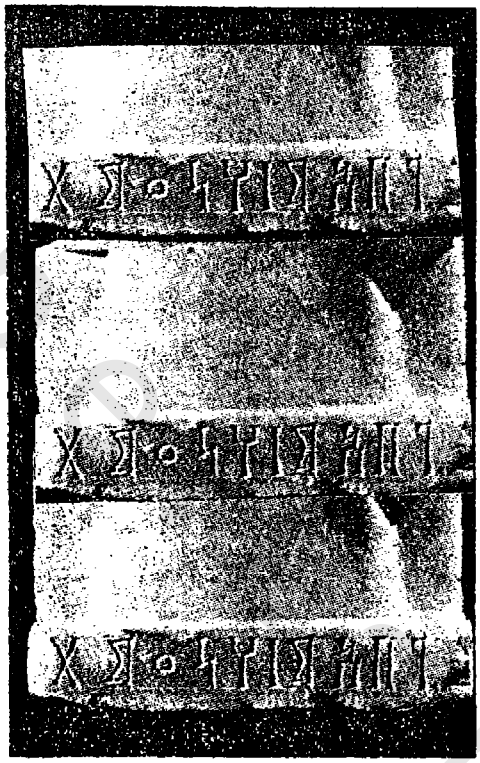

تمثال رجل اسمه « جبأ أوم هنقمت » عثر عليه في مقبرة قديمة عند « تمنع » يعود تاريخه الى القرن الاول أو الثاني قبل الميلاد .

من كتاب Qataban and Sheba (ص ١٢٤)

في هذا الموضوع . ثم هي من صنع أيد متعددة ، فيها أيدٍ قوية ذات موهبة ، وفيها أيدٍ ضعيفة انتاجها بدائي يشبه فن البدائيين ، لا تناسق فيه ولا تناسب بين الأجزاء . وقد نشأ ذلك بالطبع عن تفاوت مواهب المشتغلين بهذه الصناعات وعن وجود أناس اتخذوا الحفر في المرمر حرفة يتكسبون بها ، وقد يكون لأنهم ورثوا تلك الحرفة ، فاشتغلوا بها ، مع عدم وجود قابليات فنية لديهم .

وقد عبر عن النحات ، أي المثال الذي يصنع التماثيل بلفظة (همصنع) ، أي الصانع في اللغة اللحيانية . ويعبر عن صنع التمثال بلفظة (نحت)[1] ، أي حسب تعبيرنا عن نحت التماثيل في الوقت الحاضر . وتطلق لفظة (همصنع) على الرسام

---

١ راجع النص ٨٣ في كتاب : W. Caskel, S. 118

كذلك وعلى المعمار[1] .

ويلاحظ أن الفن العربي الجنوبي مثل أكثر الفنون الشرقية الأخرى،لا تجاري الفن اليوناني في هيأة الجسم في موضوع إبراز جماله[2] . فإذا ما نظرت الى تمثال أو صورة بارزة أو حفر عربي جنوبي ، ترى فرقاً واضحاً بين عمل الفنان في هذه الصور وعمل الفنان الهلليني اليوناني المعاصر له . ففي عمل هذا الأخير نرى عملاً فنياً جميلاً راقياً ، يبرز جمال الفن وروحية (الفنان) ، وهو عمل يقرب القطعة المعمولة الى قلبك ، ويجعلها تؤثر فيك تأثيراً عميقاً ، على حين لا نرى مثل هذا الإبداع في الفنون الشرقية في الغالب .

وفي الفن اليوناني تناسق وتناسب بين الأجزاء . راعى الفنان فيه النسب الطبيعية للجسم فمثلها في تماثيله ، وأظهرها بمظهر يشعرك بقوة فنه وبتمكنه من التعبير عن أحاسيسه . أما الفن الجاهلي ، عموماً عربي جنوبي أو من موضع آخر ، فإنه لم يتمكن من تحقيق هذا التناسق ولا النسب ولا الاتساق والتوازن بين الأعضاء . ولم يتمكن الفنان مع كل ما بذله من جهد من اظهار الجمال الفني على القطع التي صنعها ، ولا من اعطائها حياة ودماً وروحاً أخاذة تجعلك تشعر انك أمام فنان عبر عن إدراكه الفني وعن الحس الذي يشعر به أحسن تعبير بأية طريقة أو مدرسة من مدارس الفن . وبأية وسيلة من وسائل التعبير عن الذوق الفني الذي تملك الفنان فجعله يعبر عنه بطريقته التعبيرية الخاصة بهذا الانتاج المجسم لروحه والذي نسميه الفن .

ولا تملك المتاحف في الوقت الحاضر تماثيل جاهلية بالحجم الطبيعي للانسان . ويظهر ان اعتبار كثير من الناس للتماثيل أصناماً قد أدى بهم إلى اتلافها والقضاء عليها . وهناك أمثلة عديدة تؤيد هذا الرأي ذكرها القدامى والمحدثون . بل إن هذه النظرة لا تزال عند البعض . ثم إن الناس لم يكونوا يدركون قيمة الأثر في حفظ تأريخ أمتهم ، ولهذا فلم يكونوا يهتمون بالتماثيل ولا بالأحجار المكتوبة ولا بكل أثر من الآثار . وتوجد اليوم قطع تماثيل يظهر انها من تماثيل حطمها الانسان بيده وهشمها بنفسه ، إما للقضاء على معالم الوثنية المتجسمة في نظره في هذا

---

١ راجع النص رقم ٣٢ في كتاب : W. Caskel, S. 93

٢ Handb. der altar. alter I, S. 166.

التمثال ، وإما للاستفادة من أحجاره في أغراض البناء أو أغراض أخرى تفيده . ومن بينها رؤوس تماثيل أو أقدام تمثال ، أو جسم تمثال بلا رأس ولا أرجل . أما التماثيل الصغيرة ، فقد وصل عدد منها دون أن يمسها أي سوء . وقد استخرج عدد منها من باطن الأرض ، استخرجه المنقبون والمواطنون الذين أخذوا يحفرون التلول الأثرية للبحث عن أثر يبيعونه لتجار العاديات . ونجد في دور المتاحف وعند جاع العاديات عدداً منها .

ومن بين التماثيل الكاملة التي تستحق الدراسة والانتباه ثلاثة تماثيل للملوك من مملكة (أوسان) . يبلغ ارتفاع احداها (٨٩) سنتمتراً . وقد نحتت من المرمر . وهي تمثل مرحلة من مراحل التطور في فن النحت عند العرب الجنوبيين . وقد حاول النحات جهد امكانه بذل أقصى ما عنده من فن وقابلية وموهبة في اعطاء هؤلاء الملوك ما يليق بهم من جلال ووقار ومظهر ، وإبراز ملامحهم وملابسهم ، ولكنه فشل في نواحٍ ووفق قدر استطاعته في نواحٍ . وقد نحت شعر الرأس وجعله متدلياً طويلاً مجعداً . وجعل للتماثيل قواعد استقرت عليها ، دوّن عليها أسماء أصحابها . وقد اختلف الباحثون الذين بحثوا في خصائص النحت البارزة على هذه التماثيل في تقدير عمرها ، فذهب بعض منهم الى أنها ترجع الى القرن السادس أو الى القرن الخامس قبل الميلاد ، وذهب بعض منهم الى أنها ترجع الى القرن الأول قبل الميلاد ، بينما رأى آخرون أنها من نحت القرن الأول بعد الميلاد[1] .

وهناك تماثيل صغيرة لرجال ونساء وأطفال بعضها من حجر وبعضها من معدن تكشف لنا عن عادات وتقاليد المجتمع في ذلك العهد . في مثل الكشف عن الحلي التي كانوا يحلّون بها جيد المرأة وعنقها ، أو التي تحلى بها الأيدي أو الأرجل ، كما تكشف بعضها عن ملابس المرأة والرجل والأطفال في تلك الأوقات ، ولهذا فإن لهذه التماثيل أهمية كبيرة لا من الناحية الفنية حسب ، بل من الناحية التأريخية أيضاً لأنها تتحدث عن العوائد الاجتماعية كذلك .

وتعبر بعض شواخص القبور عن شعور الحزن والأسى في نفس من أمر بحفر

---

١ A. Grohmann, S. 222.

تلك الشواخص أو نحتها . فقد حرص صانعها على أن تكون معـبرة عن المناسبة التي عملت من أجلها على أكمل وجه . وأكملها برموز واشارات دينية لها صلة وعلاقة بالحياة الثانية ، وتزيد في فوائد هذه الشواخص بالنسبة لعمـل الباحث ، التماثيل التي وضعت مع الميت في قبره ، لتعبر عنه . فهي تعبير آخر عن هـذا الشعور المؤسف في شكل آخر من أشكال الفن .

وقد كانت العادة آنذاك ، دفن تماثيل مع الموتى ، أو صوراً محفورة عـلى الصخر ، فقد عثر في مصر وفي الحجاز وفي بلاد الشأم على مثل هذه التماثيـل مدفونة في القبور ، على مقربة من الأجداث . بعضها تماثيل رجال وبعضها تماثيل أطفال ، ومن النادر تماثيل نساء ، ولعل ذلك بسبب النظرة الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العهد ، من إعطاء الأولوية للرجل في المجتمع ثم للأولاد الذكور .

ونرى في هذه الصورة رأس رجل عربي جنوبي ، حفر النحات عيني الرجل حفراً ، وجعلها واسعة ، فبدتا وكأنهما قد قلعتا ، وأوصل اللحية بشعر الرأس، حتى أحاط الشعر بالرأس والوجه ، وصار كأنه هالة . أما الفم ، فصغير مفتوح، ولم يتمكن النحات من حفره حفراً يقارب الطبيعة ، ولم يتمكن كذلك من إبراز معالم الأنف . أما الجبين فأملس ، وأما الوجنتان ، فلساوان كذلك ، وأما الحجر المنحوت ، فمن الرخام .

وإذا قارنت هذا التمثال والتماثيل العربية الجنوبية بالتماثيل اليونانية ، أو بالتماثيل اليونانية التي عثر عليها في جزيرة (فيلكا) في الكويت ، تجد فرقاً عظيماً من النواحي الفنية : فالفنان اليوناني له إدراك عظيم للقيم الفنية ، له قدرة عظيمة على

إبراز الملامح ، وفي تقدير النسب بين الملامح وأعضاء الجسد ، ثم هو متمكن تماماً من كيفية إظهار الحاجبين وحفر الأنف ، وابراز العينين . ومع مرور مئات السنين على الفن اليوناني، فإنك تستطيع أن تجد فيه حتى يومنا هذا الإبداع والجمال والاتساق والانسجام . خذ هذه الصورة ، التي هي تمثال من الطين المحروق ، عثر عليه في جزيرة فيلكا ، ويعود عهده إلى حوالى (٢٠٠) سنة قبل الميلاد ، ثم قارنه بصور التماثيل التي عثر عليها في العربية الجنوبية ترى فرقاً كبيراً جداً بين الفنين .

تمثال من الطين المحروق من القلعة اليونانية حوالي ٣٠٠ ق٠م٠ من جزيرة فيلكا ٠

ولكننا نجد مع ذلك في الفن العربي الجنوبي ، محاولة تستحق التقدير ، تظهر في طموح الفنان العربي الجنوبي ورغبته جهد إمكانه في اظهار شخصيته ومواهبه الفنية ، وهو لو وجد التقدير الذي كانت يظهره اليونان للفن ، لأبدع ولا شك ابداعاً كبيراً في عمله الفني .

وقد عبر الفنان العربي الجنوبي عن مشاعره بطريقة أخرى ، هي طريقة الحفر على الحجر أو المعدن أو الخشب أو أية مادة أخرى يمكن الحفر عليهـا . وذلك بطريقتين : طريقة الحفر أي نقش الصورة أو ما يراد تخليد أثره على المادة حفراً كأن تحفر صورة إنسان أو حيوان حفراً عليها بأن تجعل معالم الصورة محفورة حفراً، عميقاً نازلاً في تلك المادة . فالحفر في هذه الحالة هو رسم محفور . وطريقة الحفر البارز ، وذلك بجعل الأثر المراد تخليـده بارزاً ظاهراً فوق سطح المادة التي حفر عليها . وذلك بأن يؤشر معالم ما يراد تخليده ويرسم ، ثم يحفر ما حوله من سطح المادة التي رسم عليها ، فتبرز الصورة وترتفع بهذا الحفر عن سطح تلك المادة .

وعثر على عدد من تماثيل الحيوانات ، نحتت من المرمر ومن أحجار أخرى ؛ فعثر على تمثال بقرة ، وعثرت بعثة (وندل فيليبس) على تماثيل ثيران في خرائب مأرب . كما عثر بعض الباحثين على تماثيل أسود أو خيل[1] . وقد تمكن الفنـان من التعبير عن موهبته الفنية في بعض المنحوتات ، وأجاد في إبراز مظاهر بعض أعضـاء جسم تلك الحيوانات التي نحتها . وقد وصلت بعض هذه التماثيل وهي مهشمة ، وقد فقدت بعض منها بعض أجزاء جسمها ، فأضاع هذا الفقدان على الباحثين امكانية اعطاء رأي في علمي عن هذه المنحوتات .

ومن الصعاب التي اعترضت (الفنان) العربي الجنوبي مسألـة التعبير عن الحركات ، ورسم الأشياء المتجاورة ، والتمييز بين البعيـد والقريب ، والتفريق بين المنازل الاجتماعيـة ، كالسيدة المصون صاحبة البيت وبين خادمتها . وهي مشكلات تواجه كل فنان ،ولا يتغلب عليها بالطبع إلا من له قدرة وعلم بالتصوير والنحت . ومن جملة النواقص التي نلاحظها على الصور المحفورة أن أكثر القطع المحفورة لم تتمكن من التنسيق بين وضع صاحب الصورة . فبينما نجد الوجه مثلاً وهو متجه الى الأمام ، كأن صاحبها ينظر اليك ، نرى الساقين والقدمين جانبيتين وهذا الوضع لا يتناسب بالطبع مع وضع القسم الأعلى من الجسم .

وقد نشأت عن صعوبة التعبير عن الأشياء المتجاورة،مثل رسم ثورين متجاورين يجران محراثاً ، أو فرسين مربوطتين معاً في محراث، مشكلة لم يتمكنوا من التغلب عليها ، فلجأوا الى طريقة بدائية في الغالب ، يتحدث وضعها عن هذا العجز ،

---

١ A. Grohmann, S. 224

هو رسم أحد الحيوانين مثلاً ، وكأنه تحت الحيوان الثاني المجاور له ، وذلك كما نرى في الصورة التي تمثل فلاحاً يحرثه ويجرّ محراثه ثوران ، فوضع الفنان الثور الجانبي الأيمن فوق الثور الجانبي الأيسر ، ظاناً ان ذلك قد عبر عن هذا الوضع، فبدا الثوران وكأن أحدهما قد ركب الآخر[1] .

وقد عثر على لوح يمثل وجه انسان مستدير ، رسم كأنه مع الجبين دائرة كاملة . وقد حفر الشعر على صورة قوس يكاد يحيط بالوجه إلا الحنك ، وقد برز الشعر متموجاً ، وقد فصلت بين الأمواج قواطع جعلت الشعر خصلاً . أما العينان فصغيرتان بالنسبة الى الأنف . وبدا الفم مقفلاً وقد حلق صاحب الرأس ذقنه ، وترك له شاربين طويلين يتصلان بالشعر المتدلي من الرأس . أما الأذنان فقد اختفتا تحت الشعر ولا أثر لهما في الصورة . والرقبة غليظة وقد أحاطت بها حيتان ارتفعتا الى أعلى على هيأة قوس . ويظهر في هذه الصورة أثر الفن الساساني[2] .

وقد عبر النحات عن تجعد شعر الرأس بحفره بصورة تشعرك انه يعبر عن شعر متجعد . وذلك بإحداث ثغرات تظهر الشعر وكأنه عقد ، وقد جعله متدلياً الى الكتفين ، أو نازلاً على الجبين حتى الحاجبين ، ولأجل أن يريك العينين وكأنهما في صورة طبيعية وضع أحجاراً ملونة أو أصباغاً في بعض الأحيان على باطن العين لتظهر التمثال وكأنه بعينين حقيقيتين تنظران الى الأشخاص[3] .

وحال حفر الأزهار وعناقيد العنب ورؤوس الحيوانات وبعض الكروم هي خير من حيث الإجادة من تصاوير الإنسان أو الحيوانات كاملاً . وقد عثر على قطع رسمت فيها التيوس وهي من الحيوانات الكثيرة في اليمن ، وقد رسمت بصورة تتمثل فيها القوة والحيوية[4] .

وقد استعمل العرب الجنوبيون الكروم كثيراً للزخرفة ، ولا يستبعد ذلك منهم فالكروم من النباتات المحبوبة الكثيرة في اليمن . وقد درّت عليهم أرباحاً طائلة واستعملت للأكل وللشرب . وهي تعطي نبيذاً طيباً وخمراً مشهوراً . فلا غرابة إذا

---

١ Handb. der altar. alter. I, S. 167.

٢ Hand. der altear. alter. I, S. 168.

٣ Arablen, S. 274 f.

٤ Handb. der altar. alter. I, S. 168, A. Grohmann, Göttersymbole, S. 60.

ما استعملوه بكثرة للزينة ، يحفرون صوره في اطارات الألواح أو الصور ، أو يكبسون صوره في الجبس .

وعثر على قطع فنية نفيسة ، من الحجر النفيس الغالي المحفور ،أي من الأحجار الكريمة ، حفرت عليها صور ذات صلة بالأساطير الدينية ، مثل القطعة النفيسة المحفوظة في المتحف البريطاني ، ويظهر انها من صنع فنان قتباني ، حفر عليها أيلين أو وعلين وقد وقف كل واحد منهما على جانب، وقفا على القدمين الخلفيتين ورفعا القدمين الأماميتين الى أعلى ، وصور النحات القدم المقابـــل للشخص الذي يقابل القطعة أو ينظر اليها وقد عقف ، أي بوضع منحن . أما القدم المقابل للقدم المعقوف ، فلم يتمكن النحات من اعطائها الوضع الصحيح . ونجد رأسي الحيوانين وقد اتجها الى الداخل ، فكأنهما يريدان الكلام مع بعضهما أو الالتقاء ، ولاظهار قرني الحيوانين معقوفين ، نحت النحات عليها نحوتاً على شكل (الجزر) ، أو الورق الرفيع . ووضع للحيوانين ذيلين قصيرين ، وقد جعل آلة الذكر للحيوانين منتصبتين . وجعل تحت القدم المرتفع لكـل حيوان رمزاً ، له فم مفتوح متصل برقبة أو بجسم ينتهي بدائرة صغيرة ، ثم بما يشبه كرة قائمة على ثلاثة أرجل . ووضع بين الحيوانين (طغراء) قراءته : (اب عم) ، (ابـي عم) ، أي (أبـى) (عم) إلـه قتبان[1] .

وبين الأحجار الكريمة المحفورة التي عثر عليها في خرائب اليمن ،أحجار أصلها من العراق ومصر ومن أحجار يونانية من أيام القياصرة ومن العصور الهيلينية ، وقـد نحتت على بعض منها حروف بالمسند المعبرة عن بعض المعاني الدينية أو عن أسماء أصحابها[2] . وهي تستعمل خاتماً في الأصابع ، وتختم بها الوثائق والرسائل .

وقد وضعوا (الدُّمَى) على ألواح الأبواب ، إما للزينة ، وإمـا لدفع الشر والأذى أو للتبرك والتقرب . وقد قيل ان (الدمية) الصورة المصورة أو الصنم[3] . وقد عرفـــوا (الدُّمية) بالصورة وبالصنم وبالصورة المنقشة بالعاج ، ونحـــوه . وعرّفوها أيضاً بالصورة المصورة لأنها يتأنق في صنعتها ويبالغ في تحسينها[4] .

---

١ A. Grohmann, Göttersymbole, 56, Abb. 141, A. Grohmann, S. 241.

٢ A. Grohmann, S. 242.

٣ البرقوقي (ص ٢١٩) .

٤ اللسان (١٤/٢٧١) .

وقد اتخذ العرب الجنوبيون من الحجر أثاثاً لهم ، فنحتوا منه أسرّة وعروشاً . وقد عثر على قطع من المرمر ، هي من بقـــايا عروش أو كراسي عملت لبعض الأغنياء . وعثر على كراسي مصنوعة من أحجار أخرى . كما عثر عـلى صناديق صنعت من حجر ، وقد زوّقت واجهاتها وزخرفت وحفرت عليها بعض الصور التي تمثل الأوراق والنباتات والأزهار والنوافذ أو واجهات البيوت[1] .

واتخذوا من الحجارة مذابح Altars . وللمذابح مكانة في الطقوس الدينية ورسوم العبادة عند الجاهليين . ويقال لها : (مذبحت) و (مذبح) و (حردن) . تذبح عليهـــا حيوانات كبيرة مثل ثيران . وقد عثر على نماذج منها في مختلف المعابد[2] . وقد زين بعض منها وزخرف بصور حيوانات حفرت عليها أو نحتت كما حفرت عليها رموز لها علاقة بالعبادة والآلهة . وهي تفيدنا من هـــذه الناحية في الوقوف على فن الزخرف والنقش وعـلى كل ما له من علاقـــة بالحياة الدينية عند الجاهليين .

وللمباخر والمجـــامر والمحارق أهمية أيضاً بالنسبة لمن يريد الوقوف على الفن الجاهلي . وقد عرفت المحارق بـ (مصرب) و (مشود) . وهي مواضع لحرق ما يقدم الى المعبد من ضحايا عليها[3] . وعرفت المجامر بـ (مسلم) ، وأمـــا المبخرة ، فهي (مقطر)[4] . وقد عثر على نماذج عديدة منها . وقد صنعت من مواد مختلفة من مرمر ومن معادن . مثل البرنز أو الذهب أو الفضة . وقد تفنن في صنعها ، وبعضها مفتوح ليس له غطاء ، وبعض آخر له غطاء . وقد نقش على بعض منها اسم الطيب الذي يحرق بالمجمرة ، واسم صاحبها والمعبد أو الإلـه الذي خصصت به .

ولم يصل إلينا ويا للأسف من مصوغات الذهب والفضة شيء كثير . والصياغة صناعة اشتهر بها العرب الجنوبيون ، حتى بالغ في ذلك بعض الكتـاب اليونان ، فأشاروا الى أوانٍ وأثاث وأدوات منزلية أخرى مصنوعة من الذهب والفضـة[5] .

---

١ A. Grohmann, S. 243.

٢ Arabien, S. 247 f.

٣ Arabien, S. 248. Rep. Epig. 4708, 4839.

٤ Arabien, S., 248, A. Grohmann, Südarabien als Wirtschaftsgebiest, I, 115. f., C. Thompson, The Tombs and Moon Temple of Hureidha, 49.

٥ De Mari Erythraeo, 2, Strabo, XVI, 778, Handb., I, S. 171.

ولكننا لم نر شيئاً مما ذكروا ، ولم يروا هم ذلك أيضاً بالطبع ، وإنما رووا ذلك عن طريق السماع .

ويعرف الذهب بـ (ذهب) في العربيات الجنوبية . وأما الفضة ، فيقال لها (صرف)[1] . وقد وردت أرض (شبا) في جملة الأماكن التي مونت العبرانيين بالذهب ، حمله اليهم تجار (شبا)[2] .

وترد في الكتابات جمل مثل : (قدم تمثالاً من ذهب) ، مما يدل على أن العرب الجنوبيين كانوا ينذرون الى آلهتهم إن منت عليهم وأجابت طلبهم بأن يقدموا لها نذراً هو تمثال من ذهب . غير أن الباحثين لم يعثروا حتى اليوم إلا على عدد محدود من تماثيل صيغت من ذهب ، بل عثروا على تماثيل من البرنز . لذا ذهب بعضهم الى ان العرب الجنوبيين قصدوا بكلمة (ذهبن) ، أي (الذهب) ، معدن البرنز ، وذهب بعضهم الى أنهم قصدوا معادن طليت بماء الذهب[3] .

وفي جملة ما هو محفوظ من أعمال الصاغة ، قلادة جميلة من الذهب عثر عليها في خرائب مدينة (تمنع)[4] سبق أن وضعت صورتها قبل صفحات . وقلائد أخرى وصفائح من الذهب حفرت عليها صور بعض الحيوانات . كما عثر على معادن مطلية بطبقة من ذهب[5] .

وقد وصلت قطع فنية نفيسة مصنوعة من المعادن ، تدل على ذوق عال وعلى مهارة في الصنعة واتقان . من ذلك مصباح يضيء بالزيت ، مصنوع من البرنز يتكيء على قاعدة . أما موضع الزيت ، فينساب انسياباً جميلاً ، وقد صنع بشكل متناسق ، وارتفع فوق المصباح من الطرف العريض تمثال (ايل) جميل جداً ربطه بالمصباح حزمة انفتحت عند اتصالها بالمصباح على هيئة أصابع يد . فلما ارتفعت ، اتصل بعضها ببعض على هيأة ضفيرة ، الى موضع اتصالها بالأيل . وقد انكسرت يدا الحيوان وكانت ممتدة . أما الرقبة والرأس والقرنان ، فقد صنعت بدقة ومهارة ، وعلى الجملة ان القطعة تدل على تطور كبير في فن الصناعات اليدوية عند العرب الجنوبيين ، وذلك كما نراه في الصورة المذكورة .

---

١ Rhodokanakis, Stud., II, S. 167.

٢ حزقيال : الاصحاح السابع والعشرون ، الاية : ٢٢ .

٣ A. Grohmann, S. 230.

٤ W. Phillips, Qataban and Sheba, p. 114.

٥ A. Grohmann, S. 242.

ونرى في قطعة أخرى مصنوعة من البرنز فناً وخيالاً ، نرى رجلاً قد وضع على رأسه غطاءً يشبه الخوذة ، وأمسك بيديه أسدين ، فاليد اليمنى أمسكت بيد أسد ، واليد اليسرى أمسكت بيد الأسد الآخر وقد أدار الأسدان رأسيهما الى الجانبين ، وكأنهما يتلويان من شدة القبض عليهما ، وإن كانت لا تمثل أجزاء الأجسام تمثيلاً كاملاً ، تعطي انطباعاً حسناً ، وتعبر عن الفكرة تعبيراً طيباً[1] .

وهناك قطعة مصنوعة من البرنز كذلك ، تمثل منظراً رمزياً : ففي الوسط راقص يشبه شكله شكل الشيطان في الأساطير ، وقد اتصل فوق رأسه ، وعلى الغطاء عمود يحمل طيراً مادا جناحيه . ويقابل الطائر أيلان ، انتصب كل أيل على جانب من جانبي الطير ، وكأنهما يتقاتلان، ويحمل الأيلان حيوانين[2] .

ونرى في هذه الصورة تمثالاً من البرنز لثور يرمز إلى الإله القمر ، وقد عثر عليه في (ظفار) .

تمثال مصنوع من البرونز يمثل اله القمر عثر عليه في ظفار .

من كتاب Qataban and Sheba (ص ٣٠٥)

---

١ Handb., I, S. 172.

٢ راجع الصورة المرقمة ٦٨ والمنشورة على الصفحة ١٧٢ من كتاب : Handb., I, S. 172.

ونرى في هذه الصورة تمثال رجل صنع من النحاس : تظهر على شعر رأسه نتوءات بارزة كأنها الخرز ، ربما تمثل زينة ، أو تعبر عن شعر صاحبها المتموج. أما الوجه ، فلا يمثل وجه أهل اليمن ، بل كأنه يمثل وجهاً لـ (بوذا) ، أي وجهاً متأثراً بالفن الهندي الصيني القديم . الأنف فيه ضخم ، والفم كبير ، وقد غطى الجسم بقميص له رأس يغطي الرقبة ويصل الى الحنك،وتجد القميص مفتوحاً تحت الخصر ، وأما أعلى القميص فمغلق ، وقد شد على الخصر (خنجر) مستقيم، على طريقة أهل اليمن في حمل الخناجر الى هذا اليوم ، وقد مدّت اليـد اليمنى الى أعلى ، وظهرت أصابع الكف واضحة مفصلة . أما اليد اليسرى ، فقد مدت الى أعلى قليلاً ، وكفها مقبوض ، مكوّناً ثقباً ، يظهر أنه صنع لوضع عصا في الثقب ، أو شيئاً آخر يرمز الى سيادة ومنزلة اجتماعية . ونجد الجسم لا يتناسب مع ضخامة الرأس والكتفين ، فهو ضئيل ضعيف . ونجد الأذن صغيرة بالنسبة الى الرأس . وقد وضعت في مقدم الشعر . ونرى ان الوجه حليق ، مما يدل على أن

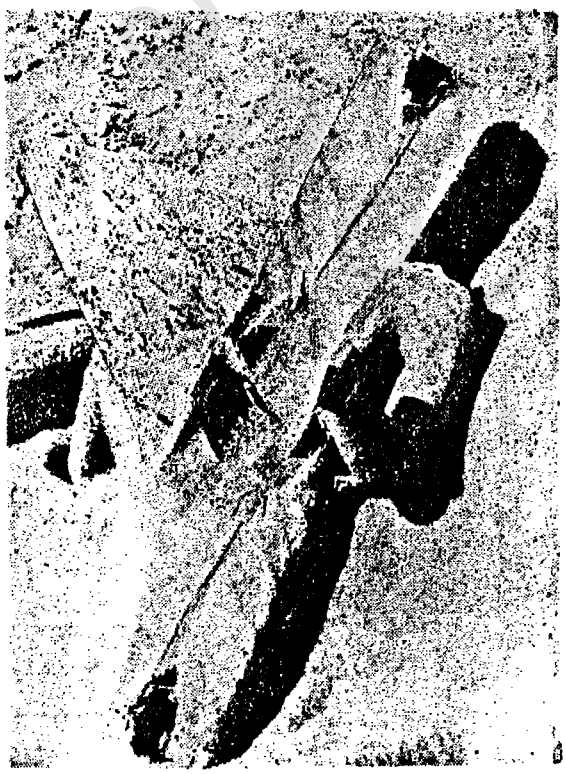

بعض الناس كانوا يحلقون شعر أوجههم في تلك الأيام . وأما الرقبة فغليظة[1] .

وهناك قطع أخرى هي عبـارة عن تماثيل بشر أو حيوانات مثل حيات أو جمال أو خيل أو جرذان وأمثال ذلك ، وقد صنعت من البرنز كـذلك ، بعضها في غاية الجودة والاتقان . ومن بين هذه القطع المتقنة عصا انتهى طرف منها على هيأة أفعى ، نرى فيها الأناقة والرشاقة ، وعصا أخرى رأسها على هيئة حيّـة وقـد تدلى الى أسفل . والقطعتان من الصناعات المتأخرة ومن أواخر أيام دولة حمير[1] .

وبين القطع القديمة المصنوعة من البرنز ، تمثال رجل ماش يبلغ ارتفاعه (٩٣) سنتمتراً ، رجله اليسرى متقدمة على اليمنى ، ويرى القسم الأعلى من الجسم عارياً إلا من جلد أسد أو فهد لف على الظهر ، ويتصل طرفاه بالصدر . أما الوركان فقد غطيا بمئزر شد على الجسم بحزام عريض . وقد جعل المثال الرأس وكأنـه قد غطي بخوذة مجعدة ، كناية عن الشعر ، وقد تدلى على الجبين . ووضع شيئاً أشبه بالريشة للمحافظة على الشعر ، وجعل للرجل لحية عبر عن تجاعيد شعرهـا بعقد . وجعل العينين واسعتين ، أما الأنف فكبير ملتحم ، وأمـا الفم فصغير . وأما الجسم عموماً ، فهو نحيف . وقد عثر على هذا التمثال في المدخل المؤدي الى (حرم بلقيس)[3] . ويرى بعض الباحثين أنه يعود الى القـرن السابع أو السادس قبل الميلاد . وأن صاحبه كان من كبار الموظفين في أيامه ، وربمـا كان بدرجة حامل أختـام الملك أو كاتم أسراره ، وقد قدم التمثال تقربة ونذراً إلى الإلـه (المقه) . ووجد اسم صاحبه مدوّناً على الكتف الأيسر منه ، وهو (معدكرب) (معديكرب)[4] .

وبين التماثيل المصنوعة من البرنز تمثال امرأة وهي ترقص ، وقد لبست فستاناً طويلاً يمتد على سروال ، وكأنه يمثل الزي الفارسي القديم ، المعروف في العراق،

---

١ Archaeological Discoveries in South Arabia, p. 270.

٢ Handb., I, S. 173.

٣ A. Grohmann, S. 232.

٤ Jamme, Sahaean Inscriptions on two Bronze Statues from Marib, JAOS, 77, 1957, 32, 35, A. Grohmann, S. 232.

وقد أبدع صانع التمثال في عمله فجعله حياً ينبض بالحياة ، وقد ضيق خصر المرأة، وجعل الساقين بعضهما فوق بعض ، ليأخذ جسمها وضع راقصة وهي في حـالة رقص ، كما ترى في هذا التمثال .

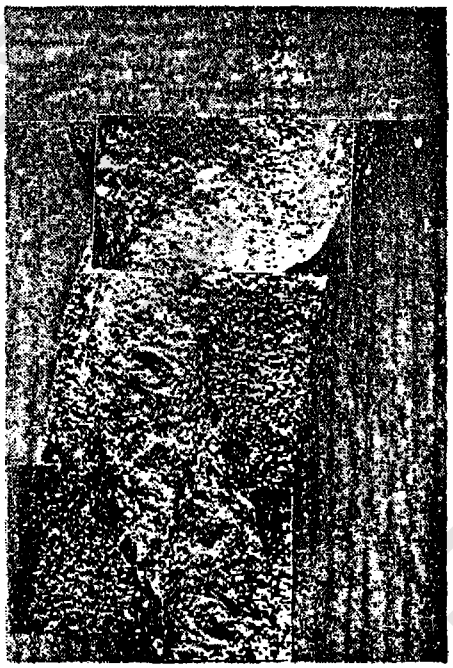

تمثال من البرونز لراقصة ، عثـر عليه في ظفار .

من كتاب Qataban and Sheba (ص ٣٠٥)

ونجد في مصنوعات المعادن مصنوعات تتحدث عن وجود أثر عراقي عليها ، ومصنوعات أخرى تشير الى وجود أثر مصري أو يوناني أو هندي عليها . وقد نسب بعض الباحثين وجود هذا الأثر الى الصلات التجارية التي كانت تربط بين الأرضين المذكورة وبين العربية الجنوبية ، كما نسبوه الى أثر الرقيـق المشترى من تلك البلاد والمستورد الى العربية الجنوبية ، حيث كلف بأداء الحرف اليـدوية . وحيث أن هذا الرقيق كان من بلاد مختلفة،لهذا ظهر التنوع في هذه الصناعات[1] .

ومن المصنوعات البرنزية التي يظهر عليها أثر الفن اليوناني مجموعة التماثيل التي

---

١ A. Grohmann, S. 230. ff.

عثر عليها في بيت (يفش) في خرائب (تمنع)[1] ، وتماثيل أخرى حفظت في متحف (صنعاء) . وتمثالين لزنجيين عثر عليهما في موضع (نخلـة الحمرا) (نخلة الحمراء) على مسافة خمسين كيلومتراً جنوب شرقي (صنعاء) . وتماثيل أخرى لبعض الحيوانات ، مثل تمثال حصان وتمثال آخر لأسد .

والتماثيل البرونزية التي عثر عليها في بيت (يفش) بمدينة (تمنع) ، هي من الآثار المهمة التي عثر عليها في أرض قتبان . ونظراً للأثر (الهليني) البارز على جسم الأسد وعلى وجه راكبه المحافظ على الملامح اليونانية يرى الباحثون انها من القطع الفنية التي ربما يعود عهدها الى القرن الأول للميلاد ، حيث كان اليونان اذ ذاك يمخرون عباب البحار ، وكان تجارهم ينقلون المصنوعات اليونانيـة الى مختلف الأنحاء من العالم ، لبيعها ولشراء ما يحتاجون اليه من النفائس التي لا توجد في بلاد اليونان وفيما وراءها . والظاهر ان الفنانين العرب ، وقفوا على قطع فنية يونانية ، فقلدوها وعملوا على صنع مثلها،وقد ضربوا على القاعدة الحروف المسند، الدالة على صاحب البيت . ومن هذه التماثيل تمثال أسد ، امتطى على ظهره ولد بيده اليمنى لجام ، وبيده اليسرى شيء يشبه القفل ، وقد صنع الأسد وكأنه يريد الوثوب ، وذلك كما تراه في الصورة . وقد قدّر تأريخ صنعه فيما بين السنـة ٧٥ و ٥٠ قبل الميلاد . ومنهم من يجعله بعد ذلك،أي في القرن الأول للميلاد[2] .

وقد تبين من هذه التماثيل أن العرب الجنوبيين ، كانوا ينتعلون نعالاً على نحو أنعلة هذا اليوم ، وهي سميكة لتقاوم الأرض فلا تأكلها عند المشي ، كما تبـين لنا من دراسة هذه التماثيل أن بين ملابس العربية القديمة قبل الإسلام وبين ملابس العرب في اليمن وفي بقيـة العربية الجنوبية في الوقت الحاضر تشابه كبير . ومن الممكن في هـذا اليوم عمل دراسة عن ملابس العرب الجنوبيين بالاستعانة بهذه التماثيل وبالصور المحفورة على الأحجـار ، التي تمثل مختلف طبقات المجتمع في ذلك العهد .

---

١ Albright, Archaeological Discoveries in South Arabia, I, 155, ff., B. Segall, Sculpture from Arabia Felix, The Hellevistic Period, AJA, 59, (1955), 210.ff., Grohmann, S. 234.

٢ Archaeological Discoveries in South Arabia, p. 155.

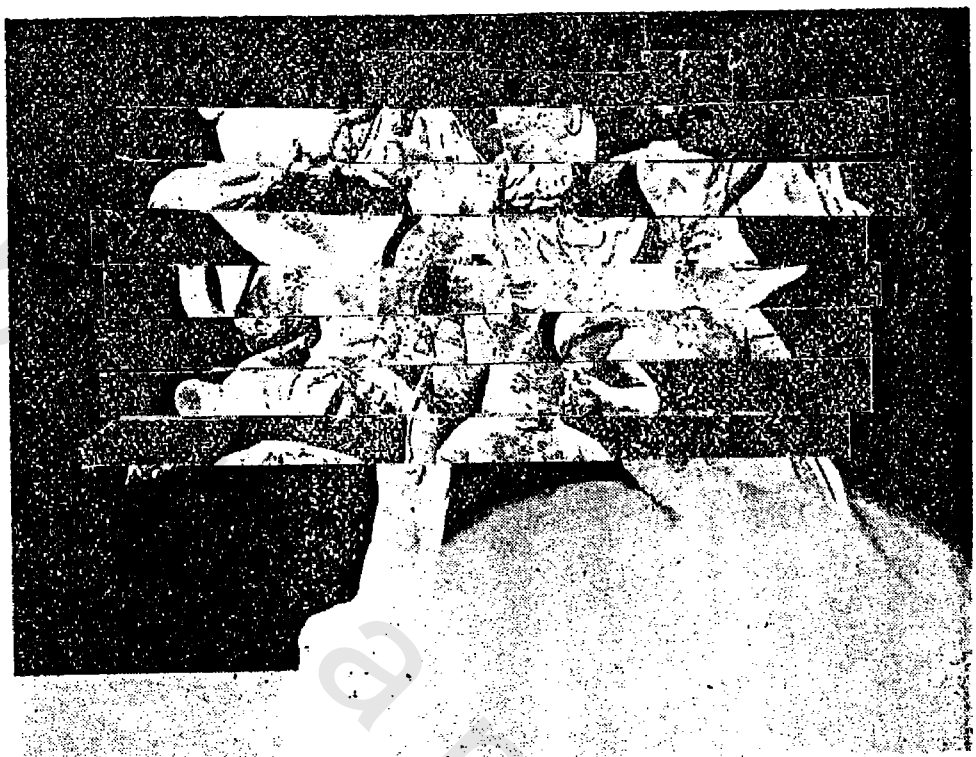

تمثال الاسد وعليه طفل • وقد أخذت الصورة من كتاب : Qataban and Sheba
لمؤلفه وندل فيلبس (ص ١١٢) •

تمثالان صنعا من البرنز ، ويرى على التمثال أثر الفن « الهيليني » واضحا بارزا •
من كتاب : Qataban and Sheba (ص ١٨٩)

أما الخشب المزخرف ، فهو وجه آخر من أوجه الفن وأضرابه ، وقد استعمل في البناء وفي أثاث البيت وفي صنع التماثيل والألواح المكتوبة وفي أغراض أخرى . وقد عثر المنقبون على نماذج منه . ولما كان الخشب معرضاً للتلف والهلاك أكثر من المعدن والحجر ، لذلك فإن يد الطبيعة قد لعبت بالكثير منه ، كما استعملته يد الإنسان قبل الاسلام وبعده في أمور أخرى غير الأمور التي خصصها أصحاب تلك الأخشاب لها ، لذلك زالت معالم الكثير منها ، واستعمل بعض منه في الوقود وفي أعمال البناء . ولا زلنا لا نملك نماذج من الأثاث المعمول من الخشب ، مثل صناديق لحفظ الألبسة والأشياء الأخرى التي تحتاج الى حفظ ،وسرر منامة وكراسي وغير ذلك مما يستعمله الانسان في حياته من مصنوعات الخشب .

إن الفنان العربي الجنوبي حاول جهد طاقته إظهار شخصيته في أعماله الفنية ، وهو وإن كان قد حاكى غيره وقلده في بعض الأمور ، غير أنه نجح في اعطاء فنه صورة المحيط الذي عاش فيه . فنرى السحنة اليمانية على وجوه بعض التماثيل ، ولا سيما في أوجه الرجال.ونجد الطابع العربي الجنوبي يبرز على بعض المصنوعات. وسوف يزداد علمنا ولا شك في المستقبل بالفن العربي الجاهلي في المستقبل حين تهدأ الأحوال وتقوم البعثات العلمية بالحفر العلمي المنظم في جزيرة العرب ، فربما يعثر على أعمال فنية تغير وجهة نظر العلماء المكتوبة عنه في هذا اليوم .

وأما الحديث عن الفن في الحجاز قبل الاسلام ، فحديث مقتضب مختصر ، لأن البحث العلمي لم يبدأ هناك حتى الآن . فاقتصر علمنا عنه على ما ورد في الموارد الاسلامية وحدها . وما ورد في هذه الموارد هو اشارات عارضة ذكرت عرضاً في أحوال لا علاقة لها بالفن بل في البحث عن أمور أخرى ، مثل : فتح مكة ، حيث أشير الى وجود تصاوير وأصنام في الكعبة ، أمر الرسول بطمسها وازالة معالمها وبكسر كل ما كان هناك من أصنام،ومثل ما جاء في كتب الحديث والفقه عن (الصور والتماثيل) في باب النهي عنها في الاسلام . وذلك يدل على ان بعض أهل مكة وسائر مواضع الحجاز الأخرى ، كانوا يضعون الصور والتماثيل في بيوتهم ، وان طائفة من الناس كانت تصوّر وتتعيش من بيع الصور ،. وأن طائفة أخرى كانت تنحت وتعمل التماثيل ، وأن طائفة من النساجين والخياطين كانوا يجعلون صور انسان أو حيوان على الستائر أو الملابس لتزويقها ، فنهى عن

ذلك الاسلام[1] .

ونحن لو أخذنا بروايات أهل مكة عن بناء الكعبة ، خرجنا منها على أن الكعبة لم تكن عند ظهور الاسلام وبعد تعميرها الأخير قبل البعثة ، شيئاً يذكر من ناحية الفن والهندسة المعمارية ، فهي لم تكن سوى بيت مكعب ، تحيط بحرمه البيوت ، ولم يكن الحرم واسعاً وله سور ، وانما كان ساحة مفتوحة تجاوز عليها أهل مكة ، فأدخلوا جزءاً منها في بيوتهم ، ولذلك اضطر الخلفاء إلى توسيعها ، بشراء البيوت المجاورة وهدمها لاعادة ادخالها في الحرم . ونحن لا نجد اليوم أثراً باقياً على وضعه وحاله من آثار الجاهلية سوى (الحجر الأسود) ، وبئر زمزم ، أما الأشياء الأخرى مثل الكعبة ، فإنها من بناء الاسلام .

أما بيوتها ، فلا علم واضح لنا عنها ، لأن أهل الأخبار لم يتحدثوا عنها حديثاً فيه إفاضة ، وقد ورد في خبر إساءة الجوار لرسول الله ، أن رسول الله كان يجلس تحت ظلة أمام باب داره ، فكان جيرانه يرمونه بالحجارة ، مما يدل على أنهم كانوا يبنون ظللاً على أبواب بيوتهم يجلسون تحتها على (دكة) ويستظلون بها من حرارة الشمس حين وقوفهم أمام الباب . ولا بد وأن تكون بيوت تجار مكة ، من حجارة وكلس ، وقد تكون من طابقين أو أكثر ، ولكن الأخبار لا تتحدث بحديث مفصل عنها .

وفي أعالي الحجاز ، آثار من بقايا أبنية ومن تماثيل وكتابات مكتوبة ومن تصاوير نقشت على الصخور ، تعبر عن حالة النقّاش الذي نقشها ، وهو من الأعراب . وفي جملة الصور مناظر إنسان يصيد غزالاً ، أو يجاهد في قتل أسد أو حيوان مفترس ، أو فارساً قد امتطى ظهر فرسه : أو مناظر قطعان حيوانات وحشية أو أليفة ، وما شاكل ذلك من مناظر تمر على عيون الرعاة . وبعض هذه الصور مما يعود عهده الى ما قبل الميلاد . وهي تستحق الدرس وتوجب على عشاق الفن دراسة النواحي الفنية والتعبيرية في هذه الصور المرسومة علي الأحجار والصخور .

وفي المتحف البريطاني حجر ، رمز اليه بـ B. M. 120928 كتب عليه بالحروف الصفوية (هف زبن بن أحرب) أي (هذا لزبان بن أحرب) . وقد حفر صورة جمل تحت الكتابة ، جعله لاعباً بذنبه ، وله سنام ضخم لا يتناسب حجمه

---

١ تنوير الحوالك (٢/٢٤١) ، تاج العروس (٤/٤٢٣) ، (قصص) .

مع جسم الجمل ، وله رقبة ورأس،أقرب إلى رقبة الزرافة ورأسها من رأس ورقبة الجمل . ولكن الرسم لا بأس به بصورة عامة ، إذا أدركنا أن راسمه من الأعراب الذين عاشوا قبل الإسلام .

ونجد في الأحجار الصفوية الأخرى ، صور فرسان ، وهم يتحاربون ، أو يتسابقون ، وصور خيل وحيوانات أخرى . وبعض هذه الصور في غاية من الاتقان والإبداع ، وبعضها تمثل فناً بدائياً ، لكنه يعبر عن وجود قابلية لدى راسمي هذه الصور الذين كانوا أعراباً يتنقلون في البوادي ، وهم مع ذلك كتبة ، لأننا نجد أسماء من رسم هذه الصور مكتوبة تحتها أو حولها لتدل عليهم .

وأما العربية الشرقية ، فقد عثرت البعثات التي نقبت بها على أعمال فنية عديدة، وقد عثر في (أبو ظبي) وفي أماكن أخرى من الخليج على آثار لم تكن معروفة من قبل . وقد أشرت في الأجزاء السابقة من هذا الكتاب إلى عثور المنقبين عن الآثار على آثار مهمة في البحرين وفي جزيرة (فيلكا) من جزر الكويت ، وهي

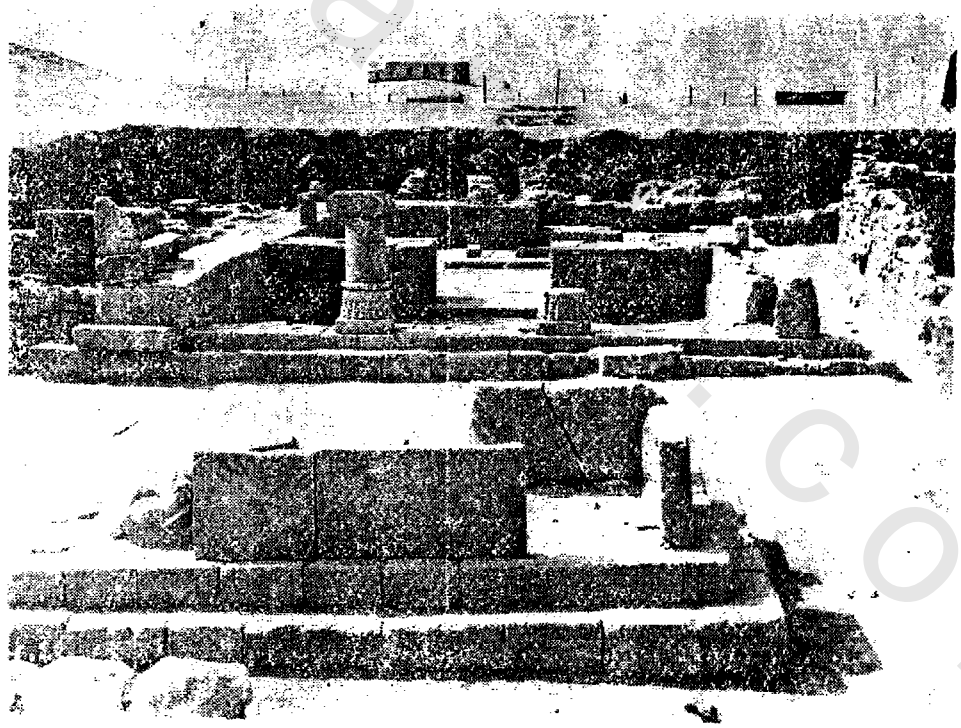

منظر المعبد الهيلنيني بعد تنظيفه ، وهو في جزيرة فيلكا وهو من منشورات قسم المتاحف والاثار بدولة الكويت

تشير الى أثر الاختلاط الذي كان بين الهند ، وفارس والروم والعراق وبين سكان الخليج ، قبل الميلاد بعهود طويلة . ولا بد وأن تنبت في هذه الأرضين حضارة مختلطة ، لأنها على ساحل بحر ، وعلى طريق يعتبر من أهم طرق العالم في التجارة وفي المواصلات الدولية في القديم وفي الحديث .

وفي جملة ما عثر عليه في جزيرة (فيلكا) بقايا معبد يوناني ، بناه جنود الاسكندر حين أقاموا واستقروا بها ، وقد تمكنت البعثة (الدانماركية) التي نقبت في هذه الجزيرة من العثور عليه ،ونظفت ساحته حتى ظهر على هذه الصورة التي تراها في الصفحة السابقة .

وفي جملة ما عثر عليه في جزيرة (فيلكا) نقود تعود الى أيام (السلوقيين) خلفاء الاسكندر ، وآثار اليونانيين الذين أقاموا في هذه الجزيرة منـــذ جاء جيش الاسكندر لفتح الهند . فاستقر قسم منهم بها وأنشأ معبداً فيها ، عثر في أنقاضه على بقايا أعمدة حجرية استخدمت لرفع سقفه ، يظهر عليها الأثر الهليني بكـــل وضوح ، وعلى أحجار منقورة مزخرفة وعلى كتابات . وقد استخدم الحجر في أعمال البناء ، كما ترى ذلك في الصورة المأخوذة لموضعه، بعد تنظيفه وإعادة دائرة

تمثال أفروديت ، ويعود عهده الى حوالي السنة ٢٠٠ قبل الميلاد
وهو من منشورات قسم الاثار والمتاحف بدولة الكويت

الآثار والمتاحف في الكويت للأحجار الى مواضعها . كما عثر في هذه الجزيرة على جرار كثيرة تعود الى العهد البرونزي ، تشبه الجرار الخزفية التي لا زال الناس يستعملونها في مواضع متعددة من جزيرة العرب .

ومن أبدع ما عثر عليه في هذه الجزيرة ، تمثال صغير من الطين المحروق يمثل (أفروديت) ، يعود عهده الى حوالى السنة (٣٠٠) قبل الميلاد ، وهو تاريخ انشاء هذا المعبد ، ومخربشة جميلة ، تمثل شجرة ، يظهر انها كانت قد وضعت في أعلى واجهة المعبد . وتمثال رأس الاسكندر ، تحيط به الهالة ، وتمثال آخر ، صنع من الطين المحروق ، وعدد كبير من الأختام، حفرت عليها مناظر مختلفة ، فيها صور حيوانات ، يعود عهدها الى القرن الثالث قبل الميلاد .

تمثال رأس الاسكندر تحيط به الهالة
من منشورات قسم الاثار والمتاحف بدولة الكويت

أما عن الفن العربي في العراق ، فنحن لا نستطيع أن نتكلم عنه إلا بإيجاز مخل ، وسبب ذلك ، أن الحيرة التي كانت عاصمة المناذرة ، والتي كانت من أكبر المستوطنات العربية ، هدمت في الفتح الاسلامي وما بعده لاستخدام طابوقها

وأخشابها في بناء (الكوفة) . فقد بني مسجد الكوفة بأنقاض قصور الحيرة ، فزالت بذلك معالم تلك المدينة ، ولم يبق منها أي شيء بتوالي الأيام .

ويظهر من الأخبار الواردة في كتب أهـل الأخبار ، أن أهل الحيرة كانوا يتخذون (إيواناً) في قصورهم ، يجعلونه موضعاً يجلسون فيه . عرف بالإيوان الحيري . وقد كانوا يزخرفون الجدر باستعمال (الآجر) المزخرف . كما كانوا يطلون الجدر عـلى الطريقة العراقية القديمة بطبقة من (الجص) ، ليظهر أملس أبيض ، وكـانوا يطلون الجدر الخارجية للبيوت بهذه الطبقة ، ومن هنا بدت مدينتهم وكأنها مدينة بيضاء ، فقيل لها الحيرة البيضاء .

التصوير :

وقد عثر المنقبون والباحثون عن الآثار القديمة على رسوم بشر وحيوان ونبات نقشها الجاهليون على الصخور والحجارة، يرمز بعض منها الى أمور دينية وأساطير قديمة . ويعبر البعض الآخر عن مواهب فنية عند حافري هذه الصور ، وعـلى مقدرة تقدر في الرسم ، وعلى وجود ميول فطرية عند أصحابها في الفن ، وفي محاولة إبراز العواطف النفسية والتعابير بلغة فنية يفهمها كل إنسان ، هي لغـة الرسم والنقش .

وفي أخبار أهل الأخبار ان أهل الجاهلية كانوا يتقربون الى الصور، كما كانوا يزينون بيوتهم بالصور وبالنسيج المصور ، كما كانوا يستعملون ستائر ذات صور ، ويلبسون ملابس ذات صور ورسوم . ولما فتح الرسول مكة ، أمر بتحطيم ما كان بها من أصنام وأوثان . وقد ذكر أهل الأخبار ، انه كانت في الكعبة حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وجد صور الملائكة وغيرهم ، فرأى ابراهيم مصوراً في يده الأزلام يستقسم بهـا ، وصورة عيسى بن مريم وأمه ، وصورة الملائكة أجمعين . فأمر الرسول بطمس تلك الصور ، فغسلت بالماء ، ومسحت بثوب بلّ بالماء ، فطمست ، إلا صورة عيسى بن مريم وأمه ، إذ أمر الرسول بابقائها كما تقول بعض الروايات ، فبقيت الى ايام (عبدالله بن الزبير) ، فلما

تهدم البيت ، تهدمت الصورة معه[1] .

وفي شعر (امرى القيس) اشارة الى التصوير . ففي البيت :

بلى ربّ يومٍ قد لهوت وليلة بآنسة كأنها خط تمثـــال

اشارة الى التصوير . فالخط ، الكتابة والرسم ، والتمثال الصورة ، والصنم ، أي التمثال المجسد . والتماثيل الصور . وقد كانوا يصورون الصور ويرسمونها قبل الاسلام[2] .

ولكننا لا نملك اليوم صوراً زيتية أو صوراً أخرى مرسومة بالألوان او بالحبر او الصبغ الأسود عـــلى أدم او قراطيس ، او الواح ، فإن مثل هـــذه الصور لا يمكن أن تعمر طويلاً تحت الأتربة لذلك تبلى، ولا استبعد احتمال عثور المنقبين في المستقبل على مثل هذه الصور ، لما ذكرته من وجود الصور والتصوير عنـــد الجاهليين .

وقد كان الجاهليون يقتنون الصور يضعونها في بيوتهم للزينة ، كما كان هناك مصورون يعيشون من بيع الصور التي يرسمونها ، وصنّاع تماثيل ، ينحتونها او يعملونها بالقوالب بجعـــل عجين الجبس فيها ، فإذا جفّ أخذ شكل التمثال ، فيباع . وقد أشير الى التصوير وصنع التماثيل في الحديث ، بمناسبة ما ورد فيـــه من كره الإسلام للتصـــوير : أو تحريمه كما ذهب اليه البعض ، فقـــد كره في الاسلام تصوير كل ذي روح ، مثـــل تصوير إنسان أو حيوان ، وكره بيع المصورات ، واتخـــاد التصوير حرفة يتعيش منها . وقـــد سأل بعض المصورين (ابن عباس) رأيه في التصوير ، وهي حرفته التي كان يتعيش منها ، فنهاه عنها ، إلا إذا صور شجراً أو شيئاً لا روح فيه . وكانت معيشة هـــذا المصور من صنعة يده ، يصنع التصاوير ويبيعها للناس[3] .

---

١ الازرقي (١٠٤/١ وما بعدها) ، السيرة الحلبية (٨٧/٣) ، ابن هشام ، سـيرة (٢٧٤/٢ وما بعدها) ، (حاشية على الروض) ، الروض الانف (٢٧٤/٢ ومـــا بعدها) ، ابن الاثير (١٠٥/٢) ، نهاية الارب (٣١٣/١٧) ، أمتاع الاسمـــاع (٣٨٥/١) .

٢ الخزانة (٣١/١) ، (بولاق) .

٣ ارشاد الساري (١٠٧/٤) ، (باب بيع التصاوير) .

وقد كانت الوثنية لا تتعارض مع التصوير ، بل كانت تشجعه وتشجع الفنون الجميلة . فقد كانت الأصنام عماد سنّتهم ، واليها كانوا يتقربون ، وكانوا يضعونها في بيوتهم للتقرب اليها والتبرك بها ، كما أنهم لم يكرهوا الغناء ولا الموسيقى ، لما لها من صلة بأعيادهما وبالطقوس الدينية .

وقد منع من بيع الأصنام ، أي التماثيل في الاسلام ، كما حرم بيع الصور المتخذة من جوهر نفيس[1] ، وكان بين أهل مكة وغيرها من القرى أناس يتعيشون من بيعها ، ويتفننون في صنعها ، فاتت بذلك هذه الحرفة التي هي من الفنون الجميلة ، مثل التصوير .

---

١ ارشاد الساري (٤/١١٤) ، (باب تحريم بيع الميتة والاصنام) .

obeikandl.com